

تأثير الجماعات الإرهابية في الإقليم على الإرهاب في سيناء

د. محمد مجاهد الزيات

مستشار المركز القومي لدراسات الشرق الأوسط

للقاعدة في كل من سوريا والعراق وليبيا وتونس ومنطقة الساحل والصحراء واليمن وبعض الخلايا المنتشرة في دول أخرى خاصة الخليجية ولبنان والأردن.

ولم يقتصر هذا الصراع والتنافس على تلك التنظيمات العابرة للحدود، بل انتقل للتنظيمات الإرهابية المحلية التي شهدت - تبعاً لما سبق - صراعات وتبدل ولاءات بين التنظيمين (داعش والقاعدة)، وتعتبر الحالة المصرية مثلاً واضحاً على ذلك من خلال تعدد العمليات الإرهابية التي يقوم بها كل تنظيم أو مجموعة موالية حتى يؤكد حضوره ونفوذه في مواجهة التنظيمات والمجموعات الأخرى، وهو ما أسهم في انتشار ما يسمى بـ "الإرهاب العشوائي"، وفي إطار تقييم نشاط التنظيمات الإرهابية في كل من العراق وسوريا يشار إلى الملاحظات التالية:

أن الانتشار الجغرافي العسكري لداعش في كل من العراق وسوريا جاء على حساب تنظيم "النصرة" الذي غير اسمه إلى تنظيم "فتح الشام" وهو فرع رئيسي لتنظيم القاعدة، وأن هذا الانتشار كان في مناطق متقاربة جغرافياً عكس التنظيمات المرتبطة بالقاعدة.

أن التنظيمات الإرهابية في العراق وكذلك في سوريا خاصة، لا تقتصر على كل من تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" و"القاعدة" ولكن هناك مئات التنظيمات والمليشيات المسلحة والكتائب المناطقية، ويشير تقرير لمعهد دراسات الحرب الأمريكي (صدر في مارس ٢٠١٦) إلى أنه هناك أكثر من ٢٥ تنظيمًا يمتلك النفوذ والقوة في سوريا ويقدر عدد المقاتلين المنضمين فيها حوالي ١٠٠ ألف مقاتل، وما يهمنا

يسعى هذا المقال لاستكشاف طبيعة وشكل العلاقات فيما بين الجماعات الإرهابية التي يتركز نشاطها في عدد من دول الإقليم، ونركز هنا على تلك التي تمارس أنشطتها في كل من سوريا والعراق وليبيا بصورة أساسية وخلايا الإرهاب الموجودة في سيناء، ومن الضروري الإشارة هنا إلى العلاقات والاتصالات القائمة بين قوى الإرهاب في سيناء وبعض عناصر ومجموعات الإرهاب داخل قطاع غزة، وصولاً إلى تقييم تأثير تلك الجماعات على اتساعها على مستوى طبيعة ومستقبل العمل الإرهابي في سيناء.

أولاً: الفصائل الإرهابية في سوريا والعراق

منذ بروز تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) تبلور ما يمكن تسميته بالتنافس الجهادي أو الإرهابي بين ذلك التنظيم وتنظيم "القاعدة" الذي خرج "داعش" من عبائتها وخاصة أن "القاعدة" كانت صاحبة النفوذ التقليدي في المنطقة منذ سقوط النظام واحتلال العراق، وجاء تمدد تنظيم داعش في كل من العراق وسوريا على حساب نفوذ وتمدد الفصائل المرتبطة بتنظيم القاعدة، وجاء إعلان داعش للخلافة الإسلامية في ظل نجاحات عسكرية حققها ليزيد من جاذبية التنظيم ونجاحه في احتواء مجموعات وفصائل وقيادات عسكرية وشرعية مرتبطة بتنظيم القاعدة، المهم هنا أن هذا التنافس بين التنظيمين انعكس بصورة كبيرة على خريطة التنظيمات الإرهابية أو التي تسمى نفسها بـ "الجهادية" في بعض دول الإقليم الموالية لكلا التنظيمين، وتبدل ولاءات بعضها خاصة التي لها امتدادات في أكثر من دولة وأصبح تمدد داعش يهدد نفوذ وتمركز التنظيمات الموالية

النظام السياسي والامتدادات الإقليمية والدولية التي تعمق من حجم وطبيعة هذه الخلافات وهو ما يوفر بيئة حاضنة للتنظيمات الإرهابية، فضلاً عن توافر أحدث الأسلحة التي كانت تحتويها الترسانة العسكرية لليبيا خلال حكم القذافي، وعدم سيطرة أجهزة معنية على مناطق الحدود، فضلاً عن قربها من مناطق تمركز تنظيمات وخطايا إرهابية خرجت من عباءة تنظيم القاعدة في بعض دول الجوار مثل تونس والجزائر ومالي ومنطقة الساحل والصحراء التي تنتشر فيها تنظيمات تهريب السلاح وتجارة المخدرات وجميعها متحالفة مع تنظيمات الإرهاب في النهاية.

ويزيد من خطورة الأوضاع في ليبيا في الفترة الحالية ما ترجحه بعض المصادر من اتجاه تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) لنقل قياداته ومناطق تمركزه التي تتعرض لضربات قوية في العراق وسوريا إلى ليبيا كبديل حيث تتوافر بيئة مواتية للعمل الإرهابي والانتشار. وقد أكدت مصادر مختلفة وصول بعض القيادات العسكرية وما يسمى بالقيادات الشرعية إلى ليبيا لتوفير المقار البديلة، وأن مجموعات تنتمي لدول عربية مختلفة وكذلك أفريقية وآسيوية كانت تتمركز في منطقة "سرت" قد انتقلت - بعد تعرضها للضربات الجوية الأمريكية الأخيرة - إلى ملاذات أكثر أمناً في تلال وجبال وواديان جنوب وشرق "طرابلس" العاصمة، كما تتمركز مجموعات أخرى في المنطقة الواقعة على الشريط الساحلي بين "مصراته" و"طرابلس" في المنطقة التي تلتف حول مدينة "بني الوليد" وصولاً إلى الصحراء الواقعة جنوب "سرت" ومجموعات أخرى قرب الحدود التونسية والجزائرية وجميعها مناطق خارجة عن السيطرة ولديها مسارات انتقال إلى دول الجوار وجميعها تعمل في مجموعات صغيرة منفصلة بنفس النمط الذي تعمل به مجموعات تنظيم "أنصار بيت المقدس" الإرهابي في سيناء.

وفي محاولة لإيضاح واقع العمل الإرهابي وممارسات تنظيمات الإرهاب في دول الإقليم ومدى تأثيرها على الإرهاب في سيناء يتضح ما يلي:

أولاً من العراق وسوريا وليبيا واليمن ومناطق متفرقة في بعض دول الجوار الأفريقية أصبحت تمثل ميداناً للتدريب الإرهابي، وإعداد الكوادر وتأهيلهم وأن هناك عدداً من القيادات المصرية الإرهابية التي كانت منخرطة في تنظيمات الإرهاب القديمة (الجهاد - التكفير والهجرة - الجماعة الإسلامية) والتي عملت في صفوف القاعدة سنوات طويلة تتولى مراكز قيادية عسكرية وشرعية في كلا التنظيمين الرئيسيين (القاعدة - داعش) وفي صفوف الجماعات المرتبطة بها في دول الجوار.

هنا، وجود تنظيمات سلفية كبرى مثل "جيش الإسلام" الذي يتمركز في منطقة "الغوطة" في ريف دمشق بصورة أساسية ويضم مقاتلين من مجموعات سلفية من عدد من الدول العربية ويتلقى مساعدات كبيرة من دول ومنظمات خليجية، وقد قتل أحد القيادات السلفية المصرية (زعيم هذا التنظيم زهران علوش) في غارة جوية للنظام السوري، وتشير مصادر مختلفة إلى وجود بعض العناصر المصرية التي تلقت تدريبات في معسكرات تابعة لهذا الحزب وعادت لتمارس أنشطة إرهابية في مصر.

أن تنظيم داعش بممارساته وآلته الإعلامية امتلاك جاذبية لما يسمى بالجهاديين من دول العالم خاصة من الشباب الأكثر تأهيلاً ومن بينهم مجموعات من مصر والسعودية وتونس والسودان وفلسطين ودول عربية أخرى.

أن تنظيم داعش لم يشهد خلافات جوهرية بين أجنحة داخلية عكس التنظيمات المرتبطة بالقاعدة، وقد ساهم هذا التماسك في أن يطرح التنظيم نفسه لتحقيق انتشار إقليمي ودولي جذب مجموعات إرهابية كانت محسوبة على القاعدة خاصة في سيناء وغزة والأردن وليبيا، حيث تؤيد التنظيم بما يسمى بعالمية الجهاد ودولة الخلافة على اتساع الإقليم والعالم.

قدرة داعش على إدارة حكم ذاتي في بعض المناطق في كل من سوريا والعراق فكل مجموعة من الفصائل أعلنت المبايعه خاصة "أنصار بيت المقدس" لمحاولة تكرار هذه التجربة ولعمل محاولتها إعلان "ولاية سيناء" التابعة لداعش في منطقة "الشيخ زايد" والتي أجهزتها القوات المسلحة والشرطة المصرية دليلاً واضحاً على ذلك، وكانت قيادة التنظيم تسعى لأن تكون سيناء إحدى مناطق التمركز في الإقليم، وبغض النظر عن فشل هذه المحاولة، إلا أنها كشفت عن استراتيجية لتنظيم داعش تفتقدها التنظيمات المرتبطة بالقاعدة، وهي الاستفادة من المجموعات والعناصر التي تباعه للتأكيد على زيادة الحضور في مناطق تلك المجموعات بما يوحي بزيادة التمدد والانتشار ويسمح لتلك المجموعات بتلقي المساعدات اللوجيستية المختلفة لدعم قدراتها، أي أن تلك الإستراتيجية ترتكز بالأساس على امتلاك الأرض وفرض الهيمنة من خلال وكلاء محليين أعلنوا البيعة لقياداته لتأكيد التمدد والانتشار.

ثانياً: النشاط الإرهابي في ليبيا وشمال أفريقيا

تمثل ليبيا بيئة مناسبة لانتشار وتمركز تنظيمات الإرهاب سواء التي أعلنت مبايعتها لتنظيم الدولة الإسلامية (داعش) أو تلك المرتبطة بتنظيم القاعدة وذلك في ظل انهيار مؤسسات الضبط وفرض السيطرة، وتزايد الخلافات داخل مكونات

من خلال توفير دعم متعدد المجالات لتنظيمات الإرهاب في سيناء بصفة خاصة.

أن ظاهرة الأنفاق على الحدود المصرية مع قطاع غزة قد استفادت منها تنظيمات الإرهاب في سيناء، ولاشك أن العلاقات بين أنصار بيت المقدس وبعض التنظيمات الفلسطينية السلفية وتلك المرتبطة بتنظيم الدولة الإسلامية (داعش) قد وفر لأنصار بيت المقدس ملاذاً آمناً لبعض قياداتها المطاردة، فضلاً عن انخراط بعض قيادات تلك التنظيمات في عمليات إرهابية للتنظيم في مواجهة أجهزة الأمن والقوات المسلحة المصرية.

أن هناك تنظيمات وفصائل متطرفة تنتمي لفكر تنظيم القاعدة تمركزت في قطاع غزة وتعاونت معها حركة حماس - وفي مراحل معينة - مما أعطاهما نوعاً من الشرعية ومن أهم هذه التنظيمات "جيش الإسلام" الذي لعب دوراً مؤثراً في تفعيل الفكر التكفيري المتطرف في سيناء وله اتصال بالعديد من فصائل التطرف التي انصهرت فيما يسمى بأنصار بيت المقدس خاصة أنصار الجهاد وأكناف بيت المقدس والتوحيد والجهاد، ومعظمها كانت لديها كوادر على صلة مباشرة بالتنظيم الفلسطيني المذكور وكانت الأنفاق مجالاً للحركة بين الطرفين، ولاشك أن أنصار بيت المقدس شأنه شأن تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) قد خرج من رحم تنظيم القاعدة وروافدها.

الخلاصة:

نخلص مما سبق إلى أن النشاط الإرهابي في دول الإقليم خاصة دول الجوار لمصر، يترك تداعياته الخطيرة على النشاط الإرهابي في سيناء بسبب الصلات التنظيمية بين المجموعات الإرهابية في بعض مناطق شمال سيناء وتلك التي تنتشر سواء في غزة أو ليبيا أو العراق أو سوريا، ولاشك أن اتجاه الدولة المصرية بكافة مؤسساتها للإهتمام بسيناء وعدم التركيز على الشق الأمني في مواجهة التطرف والإرهاب سوف يساهم بصورة كبيرة في إجثثا جذور الإرهاب فيها وإن كانت مصر تواجه ظروفاً لم تواجهها دول أخرى، فإذا كانت كل دولة مطالبة بتأمين حدودها من ناحيتها باستثناء مصر التي يتعين عليها تأمين الحدود على كلا الجانبين خاصة في غياب الدول الضابطة للحدود في ليبيا مثلاً، وفي ظل وجود الأنفاق مع قطاع غزة والتي تمثل اختراقاً للأمن القومي المصري.

أن سماح قيادات تنظيم القاعدة لتنظيم النصر (أقوى التنظيمات المرتبطة بها في المنطقة) بالخروج من تحت عباءة التنظيم وموافقة "أيمن الظواهري" على ذلك يشير إلى إدراك التنظيم الأم إلى أن الحملة الدولية على داعش سوف تؤثر بصورة كبيرة على قدرات ومستقبل التنظيم وأن السماح لتنظيم النصر بالتحلل من تبعيتها يستهدف طرح إطار تنظيمي جديد يمكن أن يستوعب خلايا ومجموعات تنظيم داعش وبعض قياداته التي تختلف فكرياً مع القاعدة، خاصة وأن الإطار الجديد لن يكون محسوباً على قيادة تنظيم القاعدة هذا من ناحية، ومن الناحية الأخرى محاولة تقديم تنظيم "فتح الشام" كتنظيم سوري معتدل لتجنب تعرض الحملة الدولية له، ولكسب اعتراف شرعي يكفل له البقاء.

أن ضرب قواعد كلا التنظيمين في العراق وسوريا سوف يؤدي إلى تشتيت خلاياهما وانتشارهما في دول الإقليم واحتضان فصائل الإرهاب في تلك الدول لتلك الخلايا خاصة وأن التقارير تشير إلى ضرب قواعد التنظيم في العراق وسوريا دون تقديم مجموعة أسرى أو إحصائيات حقيقية بالقتلى وهو ما يرجح تشتتهم وانتقالهم لمناطق أخرى بالدرجة الأولى.

أن الفترة الأخيرة كشفت عن وصول بعض العناصر المصرية إلى سيناء، كما أن العمليات النوعية الأكثر حربية فيما يتعلق بصناعة المتفجرات توحى بوجود خبرات حربية تعمل مع عناصر ومجموعات الإرهاب في تنظيم أنصار بيت المقدس.

أن الدور الإقليمي خاصة من جانب بعض الدول المساندة والداعمة للتنظيمات الإرهابية في سوريا أو التي تستهدف دعم الميليشيات المحسوبة على الإخوان المسلمين في ليبيا، قد أتاح الكثير من الدعم العسكري والمادي لتلك التنظيمات، كما أنه من الواضح أن التيار السلفي المتشدد المنتشر في بعض مناطق الأردن والعراق وله امتداداته في غزة وبعض مناطق سيناء يوفر بيئة حاضنة للعمل الإرهابي، فهم لا يقبلون الدولة المدنية ويلتزمون فكراً تكفيرياً ويريدون ممارسة العنف.

أن وجود مناطق أو ملاذات آمنة لتنظيمات ومجموعات الإرهاب في بعض دول الجوار أتاح ولا يزال لها إنشاء معسكرات تدريبية وتجهيز المقاتلين والقيام بعمليات تلقين و"غسيل مخ" للبايعين والشباب منهم خاصة ذوي الثقافة المحدودة لاستقطابهم وتقديم الإغراءات المالية لهم، وهو ما يحمل معه الكثير من المخاطر على الأمن القومي المصري